مجلة الساورة للدراسات الإنسانية والاجتماعية
ISSN: 2477-9881 EISSN: 2676-2153
المجلد 07/ العـدد: 01 (2021)، ص 251- 268

المرأة وجدوى التنمية بالمجتمع المحلي

Woman and development feasibilitt in the local society

أ. مراد تاجر [*1]
[1] جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان (الجزائر)، tadjermorad45@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2021/04/24 تاريخ القبول: 2021/05/25 تاريخ النشر: 2021/06/30

ملخص:

تضطلع التنمية كآلية و عملية فنية و لوجستيكية بالارتقاء بأوضاع الناس و احداث تغيير في مستويات عيشهم وعلى قدر تطلعاتهم بكيفية مقصودة و هادفة، تتجه بالأساس الى الانسان الذي يعتبر محورها و ركيزتها و قلبها النابض. لقد استرعى موضع التنمية اهتمام علماء الانثربولوجيا خاصة في الفترة التي اعقبت الحرب العالمية الثانية و تنوعت المقاربات المتناولة موقع المرأة في الثقافات المتباينة و الدور المنوط بها في كافة الاصعدة خاصة مع ظهور مفهوم النوع الاجتماعي"**الجندر**" الذي ازال اللبس الذي اكتنف طبيعة وظائف المرأة و الجدوى المتوخاة في اشراكها تنمويا و اجتماعيا.

كلمات مفتاحية: التنمية ، الجندر، الانثروبولوجيا، المجتمع المحلي

Abstract:

Development as a mechanism and a technical and logistical process takes on the responsibility of improving the conditions of people and making a change in their living standards in a deliberate and purposeful manner, mainly directed to the human being, the latter being its main focus, pillar, and beating heart. Approaches of women in different cultures and the role assigned to them at all levels varied, especially with the emergence of the concept of gender, which removed the ambiguity surrounding the nature of women's occupations and the feasibility envisaged in their developmental and social involvement

Keywords: Development ;anthropology ;gender ; local society.

*المؤلف المرسل

1. مقدمة:

لقد عاشت الجزائر وعلى غرار كثير من الدول الفتية تجارب عديدة في التنمية و هذا في مسار البناء و مساعي التشييد، والذي انطلق كمشروع نهضوي و تنموي تقدمي اقلعت مساعيه غداة الاستقلال و لازالت قائمة الى يومنا هذا. فالتحولات الكبرى المشهودة والتي مست الأبنية الجوهرية للمجتمع حددت و وجهت سلوكيات الأفراد والجماعات ورسمت ملامح تمثلاتهم وخياراتهم، والتي ترتب عنها تغيير في البناء الاجتماعي "المكانة والأدوار والقيم" و في الأنشطة الاقتصادية وفي البنى الثقافية ما انعكس على المجتمع الجزائري وخاصة على أنساقه الأسرية التي شهدت تغيرات معتبرة لاسيما بالنسبة للمرأة التي اسهمت بشكل محوري في عمليات الانتاج في تعدد أوجهه و أنواعه سواء داخل الأسرة أو خارجها، والتي حققت استقلالية وظيفية انعكست على التكافؤ في الادوار و المكانة، هو ما اثبتتـه عالمات الانثربولوجيا **اليانور ليكوك eleanor leacock** و **مارغريت ميد Mead margaret** و **روث بينيدكت ruth benedict** اللاتي بحثن في حقل الجنوسة و أغوارها في مجال الأنثروبولوجيا كاختصاص علمي لم تقتصر اقترابات و مجهودات المشتغلين في حقوله على ميدان واحد دون اخر بل تخوض دراساته في كافة مناحي الحياة لاسيما تلك التفاصيل الدقيقة و تلك الوحدات الجزئية التي تسبح في فلك الكلية و الشمولية مشكلة نسقا و بناءا عاما فضلا على انه يرصد اتجاهات التغير الاجتماعي و يتوقع ما ستفرزه من اثار وحتميات، و لعل الجدوى الاستثنائية المتمخضة عن مخرجاته العلمية المتعمقة في كنه الامور و جوهرها لكفيل بالدعوة الى التعويل عليه في فهم الواقع الانساني، ومن تم تحديد مكامن الاختلال و من تم تشخيص الداء و المعضلة و مجابهتها بالآليات المناسبة والحلول الممكنة و المقترحات البديلة.

2. الانثربولوجيا و التنمية و رهانات المستقبل:

تعد أنثروبولوجيا التنمية علما حديث النشأة قياسا إلى فروع أخرى من فروع الأنثروبولوجيا، وهذا على الرغم من أن موضوع التنمية عرف منذ زمن بعيد من تاريخ

البشرية، بيد أنه علميا لم تتضح معالمه ولم تتجل حدوده إلا مؤخرا، وقد بدأت قضية "التنمية " تحتل موقعا معرفيا مهما في الفكر الأنثروبولوجي المعاصر، على اختلاف مشاربه واتجاهاته الأيديولوجية. فالاشتغال في مضمارها يمثل تقاطعا و نقطة ارتباط عضوي للانسان و الاقتصاد و الثقافة، فهي كمفهوم علمي يشير بالإنجليزية Anthropology of development : و يُطبَّق كمصطلح على بنية العمل الأنثروبولوجي الذي يدرس التنمية من منظور ناقد. يمكن استخلاص نوع القضايا المتناولة والآثار المترتبة على النَهج المُتَّبع عادةً من قائمة التساؤلات التي طرحها غاو عام (1996). تشمل هذه التساؤلات، علماء الأنثروبولوجيا الذين يتساءلون لماذا يزداد الفقر إذا كان أحد الأهداف التنموية الرئيسة هو تخفيف حدة الفقر؟ لماذا توجد فجوة كهذه بين الخطط والنتائج؟ لماذا هؤلاء الذين يعملون في مجال التنمية على استعداد تام لتجاهل التاريخ والدروس التي قد يقدمها؟ لماذا تكون التنمية مدفوعة خارجيًا بدلًا من أن يكون لها أساس داخلي؟ باختص لماذا تفشل هذه التنمية المخطط لها بجهد؟(david, 1996 :39) .

وقد تم التفريق بين هذا النوع من أنثروبولوجيا التنمية عن الأنثروبولوجيا التنموية. يشير مصطلح الأنثروبولوجيا التنموية إلى وجهات النظر الأنثروبولوجية المطبقة على فرع دراسات التنمية متعدد التخصصات. وتتخذ من التنمية الدولية والمساعدة الدولية أهدافًا رئيسة لها. في هذا الفرع من الأنثروبولوجيا، يشير مصطلح التنمية إلى النشاط الاجتماعي الذي يقوم به مختلف العاملين (كالمؤسسات والعمل التجاري والمشاريع والدول والمتطوعين المستقلين) الذين يحاولون تعديل الحياة الاقتصادية والتقنية والسياسية أو الاجتماعية في مكان معين في العالم، بالأخص المناطق الفقيرة التي استُعمرت سابقاً(marc, 2005 :46) .

ومن الناحية الاصطلاحية تؤكد أنثروبولوجيا التنمية – كما يشير مصطلحها – أهمية التغير الاجتماعي والثقافي، والمشكلات التي تثار ههنا هي كيف يمكن رصد التغير والتنبؤ بنتائجه، ومن تم توجيه مساراته، فهي تنظر إلى التغير على أنه خاصية مميزة لكل

الثقافات في تفاعل دينامي مع القومية التي تدعم الاستقرار . وتذهب أنثروبولوجيا التنمية إلى ما هو أبعد من المشكلات النظرية، فهي لا تهتم بعمليات التغير ومصادره فقط، بل تهتم أيضا بالأساليب التي يمكن من خلالها تحريك هذه العمليات والمصادر وتوجيهها والتحكم فيه علم يعرفه رواده الكبار بأنه «يبحث في معنى كونك إنساناً على نحو مستفيض» يقول كلايد كلوكهون في كتابه (الإنسان في المرآة) (كلكهولن، 66:1964) الصادر عام 1949م في تعريفه للانثروبولوجيا: الانثروبولوجيا تمسك بمرآة ضخمة أمام الإنسان وتتيح له النظر إلى نفسه، ليرى ما فيه من اختلافات لا حد لها." وقد تعدّدت الدراسات والاتجاهات التي تناولت الأنثروبولوجيا، في الآونة الأخيرة، بوصفها علماً حديث العهد، على الرغم من مرور ما يربو من القرن وربع القرن على نشأة هذا العلم.

يدفعنا موضوع التنمية و السعي الى تشخيص معيقاتها الى ذكر و التطرق الى تلك التحولات السطحية أو العميقة التي تحدث في الأبنية الاجتماعية، و تحديدا ما تعلق بالمرأة التي عنيت باهتمام بالغ و وضعت في صلب نقاشات و اقترابات التنمية وما بعد الحداثة خاصة مع نجاح الرأسمالية و ضحدها لبعض افكار المادية التاريخية التي تهاوت و فقدت بريقها فيما تعلق بالتبعية و الخضوع الفطري للمرأة، و كذا لتغير طبيعتها ووظائفها خاصة حينما يتعلق الامر باستقطابها وتشجيعها الى تحقيق كيانها الوظيفي. واسهامها الاقتصادي بمشروع التنمية التي استجلب علماء الأنثروبولوجيا باعتباره يرتكز على البعد الانساني القيمي الدي تعد المرأة فيه عنصرا فاعلا و شريكا أساسيا. و هو ما سنحاول من خلال هذه الورقة استشكاله و التعرض له.

لاشك أن للمرأة دور رئيس في بناء المجتمع اذ يفوق دور الرجل احيانا لما يقع على عاتقها من مهام تتأرجح بين الرعاية و التربيـة والارتباط و بين العمل و المساهمة في التنمية الاقتصادية، و هو الدور الذي لعبته منذ الازل فقد أثبتت الدراسات الانثربولوجية أن النسوة في العصور البدائية قبل فلاحة الارض و استئناس الحيوان و تربيته و طهي الغذاء، "كانت جامعات للثمار و كن يسهمن في تأمين الغذاء أكثر من

الصيادين الذكور" (هان، 2008: 32)ما يؤكد ضرورة الاهتمام بها كوحدة اساسية في البناء الاجتماعي الذي يقصد به تلك العلاقات المتبادلة بين الأنساق بحيث كل نسق له تأثير على الأنساق الأخرى وكل نسق له مجموعة من الوحدات، أي التنظيمات الصغيرة التي تتسق و تتكامل من خلال الادوار الاجتماعية لمختلف الفاعلين في النسيج العام للمجتمع. و أي تغير في النسق يؤثر على الأنساق الأخرى سلباً أو إيجاباً ويختلف تأثير هذا التغير بحسب قرب النسق الآخر من مركز التغير أو بعده قوة وضعفاً، فالمرأة بوصفها النواة الصلبة في بناء الأسرة كدور وتأثير، فهي تتقلد الدور نفسه كذلك في التنمية التي لا تقلع و لا تفلح الا اذا اعتمدت على الانسان ركنها الركين و قلبها النابض، ولا تكتمل معالمها إلا إذا تم توسيع دائرة الاستثمار في العنصر النسوي كمورد بشري وجب إقحامه وإشراكه في التنمية الشاملة لأن كل الحقب التاريخية و الأزمنة تشهد على مكانة المرأة و دورها وإسهاماتها الجليلة، و"معلوم أن عمليات التنمية لا تهدف فقط الى الرخاء الاقتصادي وإنما يجب أن توجه إلى تحقيق الرفاه الاجتماعي و كذلك الى تحقيق الرضا النفسي" (جامع، 2010 : 74). والرضا مرتبط بمبدأ بتقسيم العمل داخل الاسرة التي اتسمت قديماً بالقيام بكل الوظائف المرتبطة بالحياة، واتسمت بتحقيق وظائفها بالشكل الذي يلائم العصر الذي تنتمى إليه، حيث اختلفت وتطورت وظائف الأسرة نتيجة تطور العصور التي أثرت في طبيعة تلك الوظائف وكيفية ووسائل قيام افراد الأسرة بها، ولكن لم يختلف الهدف من تلك الوظائف بالرغم من تعرضها للتطور والذي يتمثل في تكوين الشخصية المتزنة انفعالياً والقادرة على التكيف مع متطلبات الحياة الاجتماعية و المؤهلة للاضطلاع بالمركز و الدور الذي تقمصته المرأة جراء التغير المشهود، و امام وظائف الأسرة المتعددة التي يمكننا التعريج عليها في:

- الوظيفة البيولوجية :وتتمثل في توفير الرعاية الصحية والجسدية للأطفال في الأسرة وتوفير الغذاء الصحي والمسكن الصحي للأفراد في العائلة لينعم الأبناء والآباء بجسم سليم وعقل سليم.

- الوظيفة الاقتصادية :عرف عن الأسرة قديماً بالاكتفاء الذاتي وإنتاج ما تحتاجه، وما تزال الأسرة حالياً تشارك في عمليات الإنتاج من خلال أفراد الأسرة، فتمد الأسرة مجالات العمل والمصانع بالأيدي العاملة وبالتعاون.

هذا وقد ارتبطت هاته التغيرات في دور المرأة و عملها مع ما استحدث واستجد بنظريات هامة في المجال الاجتماعي والأنثروبولوجي باعتباره نتيجة حتمية لعملية التنمية وهي:

- النظرية الوظيفية: لقد أصبح التحليل الوظيفي مدخلا رئيسيا في تحليلات السوسيولوجيون الذين يريدون الربط بين النظام الاجتماعي ووظيفته وبين خصائص سلوك الأفراد الذين يكونونه ويرى بعض المتخصصين في علم الاجتماعي أنه يمكن تصور المجتمع على أنه نسق اجتماعي أو نسيج من العلاقات المنظمة بين الناس وتتضمن هذه العلاقات المنظمة بالضرورة الوظيفية، والنظرية الوظيفية تؤكد على ضرورة الفرد للتحليل الثقافي كما أنها أساسية في تفسير الظواهر الاجتماعية تعالج قضية التغير الاجتماعي في سياق نسقي وبنائي (بلحاج، 2011 :43)
- النظرية الثقافية: يرى أصحاب هذه النظرية أن الفرد يحمل معه جملة من الأفكار والمعتقدات والقيم والقواعد التي اكتسبها من محيطه والتي تتطلب منه أن يستوعب جملة من الأنماط الثقافية الجديدة التي تشكل تراثا ثقافيا خاصة بالمحيط الخارجي ويعتبر عن هذه الظاهرة« بلاسيدرمبو placidrambau» في دراسة لعملية التحضر في الريف بأنها تمثل التقاء ثقافتين متناقضتين أساسها العمل الصناعي التحضر لتصل للتغير هذا الالتقاء يدفع الفرد إلى أن يتخلى عن بعض القيم والنماذج الثقافية التي اكتسبها في مجتمعه لتحل محلها قيم ونماذج جديدة فهو في هذه الحالة يقبل التغير كما تمثل خاصية التطبع الثقافي الإطار المرجعي لهذه النظرية حيث عن طريقها يتجلى نسق التكيف في الوسط الجديدة والذي يأخذ أشكالا مختلفة (بلحاج، 2011 : 76).

وعليه و بناءا على ما تقدم من تحديد لأطر هذه المداخلة وعناصرها المتداخلة، وحتى يتسنى لنا معرفة واقع المرأة كرأس مال اجتماعي في الجزائر والى أي مدى أخذت مكانتها التي تستحق أن تتربع عليها في البناء العام للمجتمع، انطلاقا من الإرث و العرف الاجتماعي والثقافي والديني والشعبي للمجتمع و النظر في كيفية توظيف هذا الإرث الذي قوامه أو من بين مرتكزاته الأساسية المرأة، مع إمكانية تعديل مساره بما يضمن تحقيق التنمية، والاستفادة منه بأدراجه في البرامج والمخططات التنموية خاصة في المناطق الريفية والتي لازالت المرأة فيها لم تنعتق و لم تتحرر من قيود و و قوانين الضبط والرقابة التقليدية، كمنعها من التعليم و التكوين التي لا تتناغم ولا تنسجم مع سياق التغير الاجتماعي و لاتساير ما أستجد من إصلاحات لفائدة المرأة وعليه يمكننا طرح السؤال الاتي:

- هل للنمط الثقافي علاقة بتقسيم العمل الذي عرفته و لازالت تقيمه المجتمعات التقليدية على غرار بعض المناطق بالجزائر و الذي على أساسه تشرك المرأة في عمليات الانتاج و في عمليات التنمية ككل؟
- ما مدى فعالية برامج المؤسسات الصغيرة و المتوسطة، وكيف يمكنها الحفاظ على النشاط الحرفي و هل ساهمت في اخراج المرأة الريفية من العزلة المطبقة واستقطبتها لمشروع التنمية الريفية، وما هي اوجه النشاط الممارس و كيف يمكن قياس نجاعته؟

1.3 الانثربولوجيا و المرأة:

إنه لمن الضروري أن نستعين في هذه الورقة التي تتمحور حول المرأة بالدراسات الحقلية للانثربولوجيا حتى يتيسر لنا الاجابة عن التساؤلات المستمرة، والمسايرة للحقب التاريخية المواكبة للأحداث، فهو موضوع يكتسي ميزتين رئيسيتين، الأولى انه موضوع للبحث الأنتروبولوجي الذي يهتم بالثقافة كعنصر أساسي جوهري في حياة الشعوب، والذي يتناول الإنسان في نشأته الأولى و نشأة لغته و أساليبه في التفكير و العمل والحرف

التي يمارسها و تطورها والميزة الثانية انه موضوع اقتصادي تنموي يساهم في الدفع بعجلة التنمية المحلية باستغلال وتوظيف جميع المقدرات والتي من ضمنها العنصر النسوي. لإنعاش الاقتصاد و تأهيل المرأة و اخراجها من عزلتها المطبقة و استقالتها المطلقة في اسناد المهام ولعب الادوار. وكذا العمل على إدماج فئة النساء الحرفيات في العمالة بإنشاء مؤسسات صغيرة او متوسطة خاصة في الأقاليم المنعزلة والريفية وفي المناطق الزراعية، و تنظيم نشاطهم وهذا كله في إطار إستراتيجية التنمية المستدامة وللمساهمة في الدخل القومي للبلاد وللقضاء ولو نسبيا على البطالة، وبما أننا مشتغلون في مجال اهتمامنا على تخصص انتروبولوجيا التنمية فهو ميدان ملائم للبحث في النوع الاجتماعي والتنمية، فلما ركزت الدراسات في علم الاجتماع على المشكلات الاجتماعية في المجتمع الواحد والتي اهتمت بالطبقات والظواهر في هدا المجتمع ومقارنتها مع ذاك من المجتمعات الحديثة، ونادرا ما تعرضت للمجتمعات المنقرضة البدائية، ركزت الانتروبولوجيا في دراستها على المجتمعات البسيطة البدائية الأولية وأيضا المتحضرة المعاصرة، وهي ترتكز في الغالب على دراسة التقاليد والعادات والنظم والعلاقات بين الأفراد والأنماط السلوكية المختلفة بحيث أنها تدرس الحياة الاجتماعية وتنظر إليها نظرة شاملة وتهتم بدراسة البنية العامة ونظام التبادل الاقتصادي فنجد مثلا أن الحرف اليدوية تمثل العمل الذي نشا قديما مع الإنسان و لا زال يصاحبه إلى غاية يومنا هذا، وتهتم بالعائلة ونظم القرابة والدين ,بينما تكون دراسة علم الاجتماع متخصصة إلى حد بعيد حيث تذهب إلى دراسة ظواهر محددة أو مشكلات معينة كالطلاق والأسرة .الجريمة. والبطالة والانتحار والتنظيم العمالي وبصورة موجزة مختصرة نخلص إلى أن الأنتروبولوجيا تبحث عما يوجد وراء أفعال الأشخاص فهي لا تبحث عن الحقيقة بل عن المعنى و الأبعاد حيث أنها تجعل الباحث يشعر بأنه اقدر على إدراك ما وراء الكلمات و العبارات مظاهر السلوك من معان خفية وتجدر الإشارة إلى أن هناك تخصص جديد

النشأة يطفو على السطح و هو السوسيو-انتروبولوجيا الذي يزيل كل الحواجز و الفوارق بين الحقلين (سليم، 2010 : 24)

يحيلنا الحديث عن المرأة الى ثقافة الإنسان، وإلى وعيه بذاته وبمن حوله وإلى مرتكزاته الاجتماعية، والى سيرورة نسقه الفكري التصوري السلوكي المتصل بالواقع والمواكب لما يفرزه الزمن من تعديلات و تدبيرات و تقلبات فالإنسان حسب ما أكدت الدراسات الانثربولوجية كان يولد منتسبا الى أمه لا الى أبيه و هو ما عرف (بالنظام الأمومي Matriarchy) الذي ساد في الأزمنة البائدة والتي شهدتها الأشكال الأولى لتطور البنى و النظم القرابية الأسرية للبشر، و هو شكل افتراضي من أشكال المجتمع، تكون فيه السلطة للمرأة، سواء في الفضاء الأسري أو الاجتماعي أو السياسي. فالأبناء فيه يُنسبون إلى الأمّ، وينحصر حقّ الإرث في فرع الأمّ في سلسلة النسب، هذا فضلاً عن أنّ الزوج يقطن مع عشيرة الأمّ.. فهناك مجتمعات أمومية بمعنى انتساب الأبناء للأم.

إن تخطي مرحلة التخلف والانتقال بالمجتمعات إلى مرحلة جديدة من الرقي والرخاء والنماء مطلب إنساني وضرورة حضارية تقتضي و تتطلب فهم واقع المجتمعات و معاينة نظمها الوظيفية الشاملة في كافة المستويات اقتصاديا و ثقافيا و اجتماعيا من خلال تتبع ومسايرة الحراك الحاصل في عناصر وانساق البناء الكلي للمجتمع و حراكه المرتبط والمتأثر بعمليات التغير العميقة والحادة المتسارعة إذ أن المرأة لا تنفصل عن مجريات الأحداث انما تتصل بها و تعد فاعلا اساسيا، فمما لا شك فيه إن المجتمعات الإنسانية تتطور وتتغير من فترة إلى أخرى وتنتقل من مرحلة إلى مرحلة مغايرة. ويحدث هذا التغير أو الحراك على مستوى الأفكار والقيم فالثورة الصناعية بوصفها منعطفا ومحطة تاريخية هامة غيرت كثيرا من الأنماط، الممارسات والذهنيات الفردية والجماعية، وعدلت المعتقدات و المهارات التي انعكست على النشاطات الثقافية، والاجتماعية التي ترتكز عليها النظم الاقتصادية و المتمثلة في أنماط الأفعال و الممارسات الاجتماعية و الأساليب التي تستخدم لإشباع حاجات الإنسان المادية من إنتاج لسلع النادرة والضرورية والمتعددة

ومقايضتها و توزيعها واستهلاكها، وتبادلها فالإنسان يحتاج إلى الامن و الغذاء و المسكن والملبس و المأوى ليحقق وجوده و ليشبع حاجاته .كما للإنسان حاجات اجتماعية تدفعه للاتصال بغيره وفق ادوات اتصالية ثقافية تكاملية رمزية و وظيفية. انطلاقا من هده العناصر تشكلت الملامح الرئيسية لعلم الانثربولوجيا الدي اهتم بالجماعات الإنسانية وسلوكها و انتاجها كما لمعت و برزت دراسات النوع الاجتماعي و التفاعل داخل شبكة العلاقات بين الرجل و المرأة في اشباع الحاجات و سد المتطلبات و تحقيق التكافؤ خاصة في علاقات الانتاج و النظم الاقتصادية التي من صورها تقسيم العمل تقسيم العمل وتصنيف المجتمعات حيث "نعني بتقسيم العمل أن الأفراد أو الجماعات يتخصصون في بعض النشاطات التي تتكامل مع بعضها. مثلا: الرجال يصطادون والنساء يقطفن؛ أفراد طبقة أ هم نجارون، والطبقة الفلانية خياطون؛ مدينة ب مشهورة بصنع الأكواخ التي تنتجها و مدينة أخرى بأنها مقصد الحجاج" (فارنييه،اثنولوجيا.انثروبولوجيا،87:2004)، فالإنسانية مرت بأنظمة اقتصادية متعددة كان للمرأة منها قسط و نصيب ضمن مراحل تطور المجتمع الانساني و سعيه الحثيث للتغلب على الطبيعة و تسخيرها لخدمته و الذي يعد عمل المرأة من أشكاله البارزة على أساس انها تنتمي الى القوى العاملة و المنتجة "حيث تستند عملية الانتاج على شروط انسانية لا بديل عنها. وهي قوة العمل البشري ومدى قدراته على تسخير وسائل عمل لتحقيق قوة المجتمع المنتجة والتي هي الاخرى في تطور مستمر فالتطور في قوة عمل الانسان يوازيه تطور في وسائل العمل" هذه الوسائل التي ادت الى تحولات عميقة في المجتمعات حاصة منها التقليدية و أحدثت طفرة و نقلة نوعية في بناء المجتمع ثقافيا الأمر الذي انعكس على الممارسات و سلوكيات الافراد، وباعتبار الثقافة من المواضيع التي حظيت بمكانة خاصة في الانثربولوجيا" ففكرة الثقافة نبعت من مواجهة كبرى بين نتاج فكري غربي حدث بين الدول العالم الغربي التي حدثت من أجل التوسع، و السيطرة على الشعوب التقليدية بما تنطوي حياة هذه الشعوب من عادات و تقاليد، وأنماط سلوكية و عرفية أثارت دهشة الباحثين المشتغلين في حقول

الانسان و المجتمع الغربيين و دفعتهم لمحاولة التعرف عليها و رصدها و دراستها. لذلك احتل مفهوم الثقافة مكانة هامة في الدراسات الانثروبولوجية الاجتماعية التي تطورت كنتيجة لرغبة الدول الغربية الاكيدة في التعرف على انظمة هذه الشعوب و استكشاف اساليب حياتها" (ساقور، الاقتصاد السياسي، 2007 :65).

معلوم ومن المؤكد أن أمال التنمية الدولية في القرن القادم تبقى مبنية على التطور الصناعي، بل على تنمية دائمة يغذيها التراث الثقافي وموارد الطبيعة المتوفرة والمهارة اليدوية . فالتنمية الصناعية هي السياسة المخططة و المستهدفة لبناء الصناعة الوطنية بشقيها اليدوي والممكن وتطويرها بإقامة المشاريع الصناعية للاقتصاد (l'artisanat, 1999 : 43) ذلك عبر تطوير عمليات استخراج وإنتاج الخامات الطبيعية والمواد الأولية المحلية كاستغلال الجلود في إنشاء مصانع للأحذية والأصواف للملابس والأغطية في المناطق الريفية مع ايلاء الأهمية للمرأة و تهيئة الظروف والشروط اللازمة للاستثمار في مهارتها خاصة في قطاع الحرف والصناعات التقليدية، كما تهدف التنمية الصناعية الشاملة إلى تحديث ورشات الحرفيين والمصانع وتطوير إنتاجها ومضاعفته حتى يسد حاجيات السوق الوطنية، وعليه فان منتجات الصناعة التقليدية يستجيب تماما لهده المقاييس. بحيث تشكل التعبير الثقافي لقدرات الإبداع لمجموعات تتحكم في مهارات فريدة في إنتاج مواد تعكس ثقافتهم و تراثهم (فوزية، 1980 :66).

2.3تعريف النوع الاجتماعي (الجندر):

أما النوع الاجتماعي فهو كل ما له علاقة بالمجتمع والثقافة وبالنظم الاجتماعية وبالتطور الحضاري، وهو غير ثابت أو محدد فطريا بجنس بعينه، ومن أشهر التعريفات للنوع الاجتماعي تعريف الجندر الذي يشير إلى الأدوار والمسؤوليات المرتبطة بهذه الأدوار وتحدد هذه الأدوار من قبل المجتمع والثقافة وهذه الأدوار مختلفة من مجتمع إلى آخر كما أنها تتغير مع الزمن ومحدداتها اجتماعية وثقافية مكتسبة بالتنشئة الاجتماعية وبالخبرة وبالتجارب الحياتية وبالتعليم وبالثقافة السائدة بالمجتمع كما ترتبط بمكانيزمات تقسيم

العمل وتوزيع المهام وتقلد الرتب والتصنيفات المهنية ،نذكر أربعة عوامل تصنيفية ملائمة لتخصص العمال الأول يرتبط بالجنس، أي بالتحديد الاجتماعي للأوضاع والأدوار الذكورية الأنثوية، بالتوافق مع التعريف البيولوجي لجنس الانسان، و يتواكب التمييز بين الجنسين مع تقسيم للعمل فيسمى جنسيا. هناك تعريفات عضوية وظيفية للجنس و لكن انطلاقا من التمييز البديهي للجنسين يحدد المجتمع الأدوار الاجتماعية والمواصفات لكل منهما على صعيد اللباس والسلوك والمهمات الذكورية والأنثوية لا يوجد في اللغة، الفرنسية سوى كلمة واحدة(sexe) للدلالة على الفروقات الجسدية والفروقات الاجتماعية. وفي المقابل، فإن الأنكليزية تمتلك اثنين: واحدة (sex) تدل على الناحية الجسدية، والأخرى (gender) على المواصفات الاجتماعية، ويتجه علماء الأنتروبولوجيا الفرنسيون حاليا نحو التمييز الإنكليزي بين "النوع" و"الجنس"يمكن بسهولة إيجاد البرهان على أن تعريف "النوع" يندرج في الميدان الاجتماعي - الثقافي. في الدرجة الأولى نجد أن النوع لا يتطابق بالضرورة مع الجنس. فعند النوير، في السودان، تستطيع المرأة العاقر أن تأخذ دور الرجل، فتلبس مثل الرجال، وتقوم بأعمالهم، وتتخذ عدة زوجات. وفي الدرجة الثانية، فإن تلك التعريفات تختلف من مجتمع لآخر. ففي مجتمعات الغابات المدارية الأفريقية، يعتبر نكش الأرض بالمحرفة عملا نسائيا، بينما تعتبره المجتمعات السواحلية عملا ذكوريا. يمثل السن خط الفصل الثاني الذي يتم من خلاله التقسيم الاجتماعي للنشاطات. ونستطيع أن نقدم عن العمر ملاحظة شبيهة بالتي أوردناها عن النوع: فالسن البيولوجي لا يهم بقدر فئة السن المكتسبة اجتماعيا. وهكذا فإن شابا أو شابة قد يعتبر شيخا منذ اللحظة التي يكتسب فيها لقبا يمنحه ذلك الوضع الاجتماعي. وفي المقابل فإن بعض المسنين قد يعاملون كحديثي السن إذا كانوا مصنفين في أسفل السلم الاجتماعي، فالوجاهة هي بالنسية للسن ما يمثله النوع بالنسبة للجنس: إذا وضعية اجتماعية مرتبطة بالمعطيات البيولوجية، ولكنها ممكنة التحرر من ذلك بعض الأحيان. فكبار السن

والشباب المصنفون اجتماعيا كذلك ليسوا بالضرورة الأشخاص المسنين أو حديثي السن بيولوجيا (بيارفارنييه، 2004 :134).

تتنقل مقاربات الجندر والتنمية من التركيز على النساء إلى التفكير في العلاقات بين النساء والرجال وفي الطرق التي اعتمدت في بناء الأنوثة والذكورية. و لقد تعددت وجهات النظر في تحديد مفهوم النوع الاجتماعي – الجندر – و من تلك التعاريف:

- **التعريف الاول:** يعنى معالجه المساواة بين الجنسين وعدم وجود تمييز على أساس النوع في توفير الفرص و تخصيص في توفير الفرص وتخصيص الموارد والمنافع أو في الحصول على الخدمات
- **التعريف الثاني :** تحليل يحدد ويبلغ عمل لمعالجة التفاوتات التي تنشا عن الأدوار المختلفة للمرأة والرجل، أو علاقات القوه غير المتكافئة بينهما ، والنتائج المترتبة على هذه التفاوتات.
- **التعريف الثالث :** تحديد مختلف الأدوار والحقوق و المسئوليات الراجعة للنساء والرجال، العلاقات القائمة والطريقة التي يحدد بها خصائصهم وسلوكياتهم من خلال مسار التعايش الاجتماعي، وتأثير المواقع المختلفة للنساء و الرجال بالحقائق التاريخية والاقتصادية والاجتماعية ، ومدى تغير تلك العلاقات و المسئوليات عبر الزمن.

ومن التعاريف السابقة يتضح أن " الجندر" أو النوع الاجتماعي يتلخص فيما يلي:

يعتبر مفهوم النوع من المفاهيم الجديدة التي برزت بصورة واضحة في الثمانينات من القرن الماضي، وقدم هذا المفهوم بواسطة العلوم الاجتماعية من خلال دراسة الواقع الاجتماعي والسياسي، كمحاولة لتحليل العلاقات و الأدوار والمعوقات لكل من الرجل والمرأة.

ويقابل مفهوم النوع مفهوم الجنس. والفرق بين الأثنين أن مفهوم الجنس يرتبط بالمميزات البيولوجية المحددة التي تميز الرجل عن المرأة، والتي لا يمكن أن تتغير حتى أن

تغيرت الثقافات أو تغير الزمان والمكان. و رغم إن مفهوم النوع هو إشارة للمرأة والرجل إلا أنه أستخدم لدراسة وضع المرأة بشكل خاص أو كمدخل لموضوع (المرأة في التنمية) و في النقاط الأتية نشير الى مزايا و عوائد دراسات النوع الاجتماعي:

- ✓ هدف ووسيلة يمنح الأفراد - ذكور وإناث - بواسطتها معاملة متساوية أمام القانون وفرص متساوية للتمتع بحقهم في تطوير مواهبهم ومهاراتهم بحيث يمكنهم المساهمة في التنمية كمنتفعين أو كفاعلين من

ناحية ومستفيدين من نتائجها من ناحية أخرى.

- ✓ يتم ذلك خلال إزالة العقبات أمام المشاركة الفاعلة للمرأة في كافة المجالات العامة و الحياة الخاصة مع عدم التمييز ، حيث أن لكل من المرأة والرجل التمتع بجميع الحقوق وتحريم أي تمييز أو استثناء أو قيد على اساس الجنس يضعف أو يلغي الحقوق الانسانية المرأة وحرياتها الأساسية.
- ✓ يتضمن ذلك أدوارا اجتماعية قائمة وسلوكيات اجتماعية وتوقعات تتعلق بالإناث والذكور مع التأكيد على أن هناك اختلاف بيولوجي بين الرجال والنساء (علي، 2012 :74).
- ✓ تفسر جميع الثقافات و تتعامل مع تلك الاختلافات البيويولوجية الفطرية بما يتفق مع توقعات اجتماعية حول اي الانشطة و السلوكيات هي الأنسب للذكر و الانثى. ويحدد الحقوق و الموارد التي يمتلكها كل طرف.
- ✓ التمييز بين كل من الاناث و الذكور هو تصنيف اجتماعي يحدد الى حد بعيد فرص المرء الحياتية و شكل مساهمته في المجتمع، و تشترك كل المجتمعات في وجود عدم المساواة و ان كان مستوى ذلك يختلف من مجتمع لأخر.

4. المرأة و الحرف التقليدية في منطقة عين الصفراء:

سنحاول التطرق إلى مكانة المرأة الريفية، ومدى اتساقها مع البرامج التنموية المعتمدة والتي سلطت وانتهجت في بعض المناطق كمشاريع ترقية المرأة الحرفية في اطار المؤسسات المتوسطة و الصغيرة التي لم تستقطب هذه الفئة إلا بقدر محتشم.

إن الذكر لبعض الصناعات التقليدية القديمة يؤكد أهميتها و يثير فينا الغبطة لازدهارها والحسرة لاندثارها فقد امتهنت جملة من الصناعات التقليدية في منطقة العين الصفراء منذ أقدم العصور وتوطنت في أماكن متعددة فقد مارس السكان في القرى والبوادي و القصور بعض الصناعات في المنازل خاصة ما كان يتصل بحاجات استهلاكهم من غذاء ومسكن ولباس و فراش، بغية الاكتفاء الذاتي حيث كان النساء يقمن بصناعة النسيج فينسجن ألبستهن وألبسة الأسرة من الموارد المتوفرة محلياً وخاصة الأصواف التي استغلت في حياكة كل أنواع الأفرشة والأغطية والخيام، وبهذا النشاط الذي كانت تتكسب منه الكثير من العائلات وتتخذه كدخل أساسي وتحرص على توريثه للأبناء والأجيال المتتالية و تثمنه باعتباره نشاط ثقافي اجتماعي.

وتركزت حرفة النسيج داخل القصور فعرفت مناطق "الصفيصفة – تيوت – مغرار – عسلة- الشلالة " ازدهار الكثير من الحرف النسيجية ، خاصة صناعة الزربية والحنبل والجلابة، فقد تفنن سكان القصور في صناعتهم التقليدية وأبدعت أنامل النسوة في ميدانها. ونجد أن بعض الأسر لازالت تحتفظ إلى اليوم بالمناسج و تولها أهمية بالغة، وترى من خلالها ثقافة ساطعة و فخرا واعتزاز، وبالرغم من أن منطقة العين الصفراء تمتلك حرفاً وصناعات يدوية حرفية غنية ولا سيما النسيجية التي كان لها شأن في الماضي باعتبارها منطقة تساعدها العديد من العوامل الطبيعية والبشرية لأن ازدهار أي صناعة مرتبط ارتباطا وثيقا بتوفر وجودة المادة الخام اللازمة لها، إلا أنه ونتيجة للتحولات الاجتماعية والاقتصادية التي شهدتها المنطقة عانت الحرف من الإهمال لبعض الوقت، مما كان له الأثر البالغ في تراجعها.

قد برزت الحرفة في البناء الاجتماعي الريفي والحضري للمنطقة و قد ساهمت في بناء علاقات المصاهرة و علاقات القرابة، مما ساهم في الاستقرار الاجتماعي بفضل تقوية العلاقات خاصة في الريف، بينما في المدينة حيث اتضح ذلك في دور الحرف التقليدية في قيام و توفر المناسج داخل البيوت والورشات، والتي ساهمت في صلابة العلاقة العائلية، و بالإضافة إلى ذلك فان الحرفة أعطت دفعة قوية لتشكيل خلايا اجتماعية لمقاومة الفقر والظلم والتمايز الطبقي، وذلك بفضل التكافل الاجتماعي والتعاون وتبادل المنافع كما لعبت القرابة "الدموية والمصاهرة " في الحفاظ على تقنيات الحرفة وانتقالها ما بين الأفراد العائلة الحرفية بالتوارث دون فقدان خصائصها وأشكالها و أسرارها. وساهمت الوظيفة الاجتماعية أيضا في الترقية المهنية من المتعلم إلى الصانع ومن الأم إلى البنت و من الأجداد إلى الأحفاد.

إن عملية تحول النظم التقليدية أو شبة التقليدية، وتغيرهما إلى أنماط تكنولوجية مرغوبة أو غير ومرغوبة أحيانا يصاحبها ظهور أشكال جديدة في البناء الاجتماعي واتجاهات وقيم ودوافع ومعايير اجتماعية. أفول وزوال مظاهر وأشكال ثقافية أخرى ذات أبعاد اقتصادية اجتماعية كالصناعة اليدوية التي يعتبر وجودها كسلعة مادية تجارية مرهون بوجودها كقيمة رمزية ثقافية الانتقال من مجتمع تقليدي إلى مجتمع حديث يتسم بالانتقال من استخدام التكنولوجيا البسيطة إلى الإفادة المتزايدة من المعرفة العلمية والتكنولوجيا، يكفي لزيادة الإنتاج والاستهلاك بشكل دائم بحيث ينتظم لتحقيق المزيد. وفي المجال الاجتماعي تعمل الحداثة على تصفية المؤسسات الوسيطة (الأسرة- القبيلة- القرية) والوحدات الاجتماعية الصغيرة، وتدمر بالتالي العلاقات مباشرة والعلاقات المبنية على العلاقات الحميمة والأفعال التضامنية المباشرة (استيتية، 2004 :123).

5. خاتمة:

يتميز الإنسان بقدرته على إنتاج الثقافة، وهذه أهم خاصية تميزه عن باقي المخلوقات و لكل مجتمع ثقافته الخاصة التي يتسم بها و يعيش وفقا لمبادئها، و لكل ثقافة ميزتها و خصائصها الغير المادية الروحية و المعنوية المتمثلة في القيم والأفكار، التصورات و المعطيات المادية التي تتألف من طرق المعيشة و مستلزماتها من أدوات ووسائل وأساليب يستخدمها الأفراد لقضاء مآربهم و إشباع حاجاتهم من صناعة وزراعة و خدمات و تبادل للأدوار بين الجنسين و غيرها من سبل العيش و تنظيم المجتمع. فجل الدراسات في حقل الانثربولوجيا ذهبت للجانب الوظيفي البنيوي للمجتمعات سواءا القديمة البائدة أو المعاصرة و ركزت على الانسان في جميع عمليات التحول و التغيير فمكانة المرأة ومستويات تأثيرها تختلف من مجتمع لآخر، إلا أن المتفق حوله و المؤكد عليه أنها كمورد بشري وجب الاهتمام بـه و ايلاءه الاهمية القصوى للنهوض بالتنمية و تحقيق الاهداف المتنوعة فالمرأة نصف المجتمع و ركيزته الاساسية.

6. قائمة المراجع:

1- بلحاج مليكلة-مدكرة لنيل شهادة ماجستير بعنوان مساهمة المرأة الريفية في تنمية المجتمع المحلي، جامعة تلمسان سنة 2010-2011.

2- دلال محسن استيتية ,التغير الاجتماعي و الثقافي ,دار وائل لنشر –طبعة أولى، 2004، الأردن .

3- دياب، فوزية، القيم والعادات الاجتماعية، بيروت، دار النهضة العربية 1980.

4- سليم درنوني .دورية كراس الثقافة 6. دار الطلائع .أبريل 2010.

5- عبد الله ساقور ,الاقتصاد السياسي ,دار العلوم للنشر و التوزيع .

6- فيليب لابورت. تولرا جان. بيار فارنييه. اثنولوجيا. انثروبولوجيا. المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر و التوزيع..ترجمة مصباح الصمد.

7- كلايد كلوكهون، الانسان في المرآة علاقة الانثروبولوجي بالحياة المعاصرة، ترجمه وعلق عليه: د. شاكر مصطفى سليم، قدم له: د. غوث الانصاري، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر بغداد – نيويورك، مطبعة أسعد، بغداد، 1964.

8- ماهر أبو المعاطي علي. التنمية الشاملة. معالجة محلية ودولية لقضايا التنمية. المكتب الجامعي الجديد. 2012.

9- محمد نبيل جامع .علم الاجتماع الريفي والتنمية الريفية ..دار الجامعة الجديدة. جامعة الاسكندرية 2010.مصر.

10- مصطفى عمر حمادة.دراسات انثروبولوجية... دار المعرفة الجامعية للنشر والتوزيع 2012جامعة الإسكندرية. مصر.

11- هارث,كريس هان و كيت هارث ,الانثروبولوجيا الاقتصادية, التاريخ والنقد ,المركز العربي للأبحاث والدراسات السياسية.

12- Edelman, Marc, and Angelique Haugerud. (2005). The anthropology of development and globalization: from classical political economy to contemporary neoliberalism. Malden, Mass: Blackwell Pub.

13- Gow, David D. (1996) Review: The Anthropology of Development: Discourse, Agency, and Culture Reviewed work: An Anthropological Critique of Development: The Growth of Ignorance by Mark Hobart and Encountering Development: The Making and Unmaking of the Third World by Arturo Escobar, Anthropological Quarterly Vol. 69, No. 3, Healing and the Body Politic: Dilemmas of Doctoring in Ethnographic Fieldwork, Jul., pp. 165-173

14- Ministere du tourisme et de l'artisanat –article 13 du cid – définition de l'artisanat .1ere partie – fevrier1999.